

9-المنهج التاريخي Historical method

يتكون التاريخ من وقائع حدثت مرة واحدة و لن تتكرر ، فالتاريخ يقوم على الزمان و من خصائص هذا الأخير انه غير قابل للإعادة أبدا. و في سعي المؤرخ لاسترجاع الماضي، أو لرسم صورة اقرب ما تكون لديه، يستخدم المنهج التاريخي (الاستردادي)،الذي يعتبر أقدم مناهج البحث.

*يقول ابن خلدون: التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخلق " (<https://www.aljadeedmagazine.com>).

*كما يُعرف المنهج التاريخي في البحث العلمي على أنه: الطريقة أو الأسلوب أو المنهج المستخدم في بلوغ المعارف والحقائق، وذلك عن طريق مُطالعة المعلومات أو البيانات التي دُوّنت في الفترات الماضية حول أحداث أو وقائع تمت، وتلقيحها ونقدها بحياد وبموضوعية، للتأكد من جودتها وصحتها، ثم إعادة بلورتها و الربط بينها للتوصل إلى النتائج المقبولة، والمُدعمة بالقرائن والبراهين.

*كما يعرف بأنه البحث الذي يصل ويصف ويسجل الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، ويقوم بدراستها وتحليلها وفق مجموعة من الأسس المنهجية، وذلك من أجل فهم الواقع بناء على الماضي.

فالتأريخ أو التدوين التاريخي هو عملية إحياء الماضي بأحداثه و شخصياته، و هذه العملية تقتضي معرفة القوانين التي تحكم التاريخ، مثلما يسعى العلماء في العلوم الطبيعية إلى استنباط القوانين لها، لأنه كما للطبيعة نواميسها فان للتاريخ قوانينه.(طلال المجذوب، 1993 ص 24) و مخرجات البحث التاريخي تفيد في المجالات السياسية و الاقتصادية

و الأدبية و الفنية ، و التي بدورها يؤسس لها تاريخا خاصة بها، كتاريخ النظم السياسية و القانونية و الاقتصادية و الأدبية و التربوية و غيرها...

فالمنهج التاريخي يمكن الباحث من فهم الأمور التي تجري في الوقت الحالي بناء على الأحداث التي جرت في الزمن الماضي، كما يتمكن من استشراف المستقبل. فهو يرى الحياة عبارة عن سلسلة من الحلقات الزمنية و كل حلقة ذات علاقة بالأخرى. و هذا ما يجعل الماضي مرتبط بالحاضر و المستقبل. و الفهم العلمي للظاهرة الراهنة و المستقبلية يتطلب الرجوع إلى ماضيها و كيفية تطورها.

خطوات البحث التاريخي:

- تحديد مشكلة البحث: و الدقة في اختيار الموضوع يتطلب الإجابة عن بعض الأسئلة
مثل: أين مكان وجود الظاهرة أو الحادثة التاريخية المراد دراستها؟

متى وقعت الأحداث التاريخية؟

ما هي مراحل التطور التاريخي للأحداث التاريخية؟

من هم الأفراد الذين عايشوا الأحداث التاريخية؟

و هل هناك ارتباط بين الأحداث التاريخية خلال التطور التاريخي لها؟

- تحديد مصادر المادة العلمية و طرق جمعها: مثل: الدراسات السابقة، البحث و الانتقال إلى مصادر المادة العلمية و التي يمكن تقسيمها إلى:

أ - مصادر أولية: و تضم الآثار (بقايا الحضارات ، المطبوعات، المخطوطات، الرسومات، الحفريات) و الوثائق (السجلات).

ب - مصادر ثانوية: و تشمل (رواية الأشخاص الذين شاهدوا أو عاصروا الأحداث). الكتب، دوائر المعارف.

- نقد المادة العلمية: و للتأكد من صدق و صحة المعلومات المتحصل عليها من المصادر الأولية و الثانوية ، فان الباحث التاريخي يعتمد على نوعين من النقد هما: النقد الخارجي

و يهدف إلى التحقق من صحة الوثائق. و النقد الداخلي من اجل التحقق من معنى و صدق المادة بالوثيقة (منى احمد الازهري، مصطفى حسين باهي، 2000، ص 32).

عيوب المنهج التاريخي:

- من الحقائق العامة أن التاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة.
- اختلاف الأزمنة بين زمن إجراء البحث و الزمن الذي تمت فيه الأحداث التاريخية.
- من ناحية علمية هذا النوع من البحوث ان التاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة و إلى الأبد، بينما يتكون العلم من حقائق قابلة دائماً لان تعود. و في هذا السياق يرى ' لويس كوهين' أن المنهج التاريخي من ضمن البحوث الوصفية. و هو مختلف اختلافا جذريا عن المناهج التي تبنى على أسس علمية و لكنه ضروري (احمد عطية احمد، حامد عمار، 1999، ص 154).
- الوقت الطويل في إجراء البحوث التاريخية.
- التكلفة المادية خاصة من إعداد هذا النوع من البحوث.
- صعوبة الحصول على المعلومات من مصادرها الأولية.
- طمس أو إتلاف أو تحريف بعض المعلومات.
- الاعتماد أكثر على المصادر الثانوية.
- التحيز الشخصي أثناء النقد و التحليل لبعض الأحداث و الوثائق.
- الاعتماد على السرد و النقل و الأسلوب القصصي في ذكر الأحداث و الوقائع و الابتعاد عن التحليل و الربط و البرهنة.

-المعرفة التاريخية جزئية و من الصعب جدا الحصول على معرفة كاملة للماضي نظرا لطبيعة مصادرها و تعرضها للتزوير و التلف و التحيز، و يصف فان دالين ما ذكره جوتشاك عن المعرفة التاريخية بأنها:

ان من شهدوا الماضي لا يتذكرون سوى جزء منه و لم يسجلوا سوى جزء مما تذكروا، وضاع جزء مما سجلوا ، و اكتشف الباحثون صحة جزء مما سجل و فهموا جزءا من التسجيل الصحيح ، و نقلوا جزءا مما فهموا (ذويقات عبيدات، 1992، ص 181).

10-المنهج المقارن Comparative method

المقارنة من الطرق التي دأب الإنسان على الاستعانة بها في مقارناته المتعددة بين الأشخاص و الأشياء و الأحداث و السلع و المواقف... و هي عملية ضرورية للتفكير العلمي و تطويره. و عن نشأته التاريخية فان استخدامه كان في الفترة اليونانية من طرف ارسطو و افلاطون عند مقارنتهما للقضايا التي يعتبرونها محورية و أساسية في حياة المجتمعات الإنسانية. كما تعود أصوله إلى كتابات الرحالة منذ آلاف السنين، إلا أن الانثروبولوجيا هي أول العلوم الاجتماعية التي احتلت فيها المقارنات الثقافية مكانة بارزة على يد ' تاييلور Edward Burnett Tylor ' و ذلك عام 1889 (احمد عطية احمد، حامد عمار، 1999، ص 161). دون إغفال الدراسات التي أنجزتها مارجريت ميد Mead حول الصفات النفسية لبعض القبائل البدائية و مقارنتها عند الإنسان المتحضر ، و أعمال بنيدكت Benédict حول المقارنة بين الأنماط الثقافية. و يشير البعض أن المنهج المقارن شائع في جميع العلوم الإنسانية و الاجتماعية، إلا انه في ميدان علم النفس ' يسمى تسمية خاصة هي (المنهج العابر للثقافات) أو (منهج (الدراسات التعاونية المقارنة). أو (علم النفس المقارن) الذي يهدف إلى الفهم العلمي الدقيق للفروقات و التشابهات بين مجموعتين أو أكثر من الأفراد و الظواهر النفسية و الذهنية، تبعا لمتغيرات اجتماعية، عمرية، تحصيلية ، مهنية، بيئية و ثقافية .. .

و نشير إلى نقطة منهجية هامة و هي أن هناك فرق بين علم النفس المقارن و علم النفس الفارقي، هذا الأخير يسعى إلى الوقوف على الفروقات و الاختلافات فقط بين الأفراد و الجنسين و الجماعات في درجة أو شدة الخاصية الواحدة اعتماد على القياس و الإحصاء. بينما علم النفس المقارن يهدف الى معرفة نقاط التشابه و الاختلاف بين ظاهرتين أو نمطين من السلوك أو أكثر.

*التعريف الاصطلاحي:

- فهو نوع من مناهج البحث العلمي الذي يعتمد أساسا على المقارنة في الظاهرة المدروسة بغرض إبراز أوجه التشابه و الاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر.
- و هو من أكثر المناهج استخداما في دراسات : الاجتماعية، القانونية ، التربوية، النفسية، الشرعية، الانثربولوجية.. .
- يصف عالم الاجتماع ايميل دوركايم David Émile Durkheim المنهج المقارن بأنه: نوع من التجريب غير المباشر. كما يعرفه المفكر جون استوارت ميل John Stuart Mill بأنه: عملية مقارنة لنظامين أساسيين متماثلين في كل الظروف ولكنهما يختلفان في عنصر واحد وذلك حتى يتمكن من تتبع نتائج هذا الاختلاف.

- هي منهجية تركز بالأساس على الإجابة عن سؤال، كيف؟ و لماذا تحدث الظاهرة ؟ و تقارن جوانب التشابه و الاختلاف بين الظاهر المختلفة ، بهدف الكشف عن العوامل التي تؤثر فيها، و تسعى إلى إبراز العلاقات التي تكمن وراء الحالة السطحية، و تصف العوامل التي تكمن وراء هذه الظاهرة، و تحاول تحديد الظروف المشتركة بين العوامل المدروسة التي تشكل سبب الظاهرة (جامع جغايمي، 2003، ص 29).

- فالمنهج المقارن مجموعة من العمليات الذهنية محددة ومتعددة في ذات الوقت تعتمد على التحليل والتركيب و وصف الظاهرة وعدم عزلها عن سياقها التاريخي، الثقافي، الاجتماعي....، فهو هدف في حد ذاته فتكون المقارنة مهمة على البحث ككل.
- فالمنهج المقارن يركز على الأسئلة الآتية: ماذا يقارن؟، لماذا يقارن؟ وكيف يقارن؟ و متى يقارن؟ و أين يقارن ؟

*خصائص المنهج المقارن:

- يهدف المنهج المقارن إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر ولكن في فترات زمنية مختلفة.

- تشمل طريقه المقارنة إجراء مقارنه بين ظاهرتين سواء كانت: اجتماعية ، تربوية اقتصادية، طبيعية ، سياسية أو ثقافية.. ، بقصد الوصول إلى حكم معين يتعلق بوضع الظاهرة في المجتمع. و الحكم هنا مرتبط باستخدام عناصر التشابه أو التباين بين الظاهرتين المدروستين أو بين مراحل تطور ظاهره ما .

- على الرغم من أن المنهج المقارن هو منهج مستقل إلا أنه يتكامل و يتقاطع مع مناهج أخرى مسانده له مثل المنهج الوصفي التحليلي وهنا نكون بصدد المنهج التحليلي المقارن، أو مثل المنهج التاريخي ويطلق عليه في هذه الحالة المنهج التاريخي المقارن أو للمقارنة . أو مثل علم النفس و علوم التربية و يسمى علم النفس المقارن و التربية المقارنة. أو مثل العلوم القانونية و يطلق عليه القانون المقارن. وهناك أيضا الأدب المقارن و الدراسات اللغوية و اللسانية المقارنة...

* خطوات المنهج المقارن:

- تحديد موضوع المقارنة: بعد الاطلاع على موضوع البحث على الباحث أن يقوم بتحديد مشكلة البحث العلمي الخاص به، أي الظاهرة المتجانسة أي المتماثلة لا المتناقضة. و التعرف و اختيار العينة التي سيعمل عليها.
- صياغة الفرضيات و تحديد متغيرات المقارنة: وذلك بالتوصل إلى نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بين المتغيرات. و التي سيقوم بوضعها في بداية بحثه العلمي.
- القيام بجمع البيانات و المعلومات: باستخدام أدوات البحث العلمي وتحليلها وتصنيفها.
- تفسير نتائج موضوع المقارنة: أين يقوم الباحث بالاطلاع على عدد من الأبحاث العلمية التي تناقش نفس الظاهرة التي يدرسها، وبالتالي سيكون من السهل المقارنة و الوصول إلى نتائج نهائية.
- الوصول إلى نتائج المقارنة: وذلك بعد أن ينتهي الباحث من عمليه المقارنة بين موضوع الدراسة وبين النتائج التي تحصل عليها حيث يستطيع في هذه الحالة أن يقوم بكتابة تقريره العلمي أو بنشر بحثه العلمي المزود بعدد من النتائج التي يضعها في خدمة العلم.

* حالات استخدام المنهج المقارن وهي :

- مقارنة متغير واحد في مجتمعات متشابهة: مثل التحصيل العلمي لأبناء الطبقة العاملة في مجتمعين صناعيين .
- مقارنة عدة متغيرات في مجتمعات متشابهة: مثل دراسة الوضع الاقتصادي (معدل الدخل، معدل البطالة، سعر السلع) في الدول العربية.

- مقارنة عدة متغيرات في مجتمعات متباينة: مثل دراسة العلاقة بين النوع الاجتماعي (ذكور-إناث) ومعدل الدخل الفردي، في المجتمعات العربية (وهي مجتمعات نامية عموما) مقارنة مع المجتمعات الأوروبية (وهي مجتمعات متقدمة ومتطورة)

- مقارنة عدة متغيرات في مجتمع واحد: مثل دراسة علاقة النمو الديموغرافي بين طبقة اجتماعية حضرية وأخرى ريفية في مجتمع ما (<http://elearning.univ-djelfa.dz>).

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الإنساني.

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين مراحل و مظاهر النمو الإنساني .

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك اللاسوي أو المرضي .

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف للسلوك الحيوان بين بعض الأنواع و السلالات.

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين الأنماط أو السمات الرئيسية للشخصية القومية لعدة دول

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين المنظومات الاجتماعية و التربوية و التعليمية و الصحية و الادبية و القانونية بين عدة مجتمعات.

- دراسة أوجه الشبه و الاختلاف بين الأنماط الرئيسية الثقافية لعدة مجتمعات.

***أنواع المقارنات:** هناك عدة أنواع من المقارنات نذكر منها:

- المقارنة الكيفية: متابعة و رصد كل الملاحظات حول خصائص و مظاهر الظاهرة المدروسة و تفسيرها و تتبع تغيراتها و تطورها في ارض الواقع.

- المقارنة الكمية: حصر الظاهرة المدروسة بطريقة عددية أو كمية . و يسمى هذا النوع بالمقارنة التجريبية أو العملية وهي نوع المقارنة التي تستخدم التجربة و لقياس.

- المقارنة المغايرة: وهي المقارنة بين حادثتين اجتماعيتين أو أكثر تكون أوجه الاختلاف فيها أكثر من أوجه التشابه، مثل المقارنة بين الطلاق والخلع كنظامين لإنهاء عقد الزواج. أو بين العصاب و الذهان في علم النفس المرضي.

- المقارنة الاعتيادية: وهي مقارنة بين حادثتين أو أكثر من جنس واحد تكون أوجه التشابه بينهما أكثر من أوجه الاختلاف مثل : الهدر المدرسي و التسرب المدرسي. أو مثل : صعوبات التعلم و عوائق التعلم.

- المقارنة الداخلية: تدرس حادثة واحدة مثال: مقارنة التعليم بين المنظومة التربوية في الجزائر و المنظومة التربوية في تونس .

- المقارنة الخارجية: وهي مقارنة حوادث أو ظواهر اجتماعية مختلفة عن بعضها. مثل دراسة التنمية الاقتصادية بين بلدين واحد يتبع النظام الاشتراكي و آخر يتبع نظام رأسمالي.

- المقارنة العرضية: تكون بمقارنة ظاهرة اجتماعية واحدة، ولكن في أكثر من مجتمع أو منطقة جغرافية أو على فترة زمنية محددة. مثل نظام الزواج.

- المقارنة الطولية: يكون هذا النوع بمقارنة ظاهرة اجتماعية واحدة في مجتمع واحد، ولكن خلال فترة زمنية طويلة، ويكون الهدف من هذا النوع دراسة تطور الظاهرة أو التغيير التي طرأ عليها خلال الزمن. مثل المنظومة الصحية.

- المقارنة واسعة المجال: حين يجري الباحث دراسة مقارنة حول موضوع واحد و لكن بين عدة مجتمعات إنسانية.

- مقارنة ضيقة أو محصورة: أي تكون المقارنة حول ظواهر داخل نفس المجتمع و لكن في فئات أو طبقات مجتمعية مختلفة.

- المقارنة الزمنية (تاريخية): أين تتم دراسة الحادثة أو الظاهرة نفسها في فترتين زمنيتين مختلفتين مثال: التعليم الجامعي الجزائري قبل و بعد الاستقلال.

- المقارنة المكانية (الإقليمية): تكون المقارنة في هذه الحالة حول نفس الظاهرة أو الحادثة في حيزين مكانيين أو إقليمين جغرافيين مختلفين في نفس الفترة الزمنية، مثال: التكفل بإدماج المساجين بين النظامين التشريعيين الجزائري و الايطالي.

- المقارنة الزمنية والمكانية: هذا النوع من المقارنة يجمع بين النوعين السابقين، حيث تكون المقارنة حول الظاهرة في دولتين أو إقليمين جغرافيين مختلفين وفي فترتين مختلفين مثال :

المقارنة بين إجراءات الوقاية من الأوبئة بين النظام الصحي الجزائري و الموريتاني قبل وبعد جائحة كوفيد 19 .

*مميزات المنهج المقارن :

- الوصف و التحليل دقيق للظاهرة المدروسة، وإجراء المقارنة عليها.
- يمكن فهم كافة الظواهر أو المشكلات الخاصة بالدراسة.
- من خلال هذا المنهج بإمكانك أن تقوم بإجراء التجارب، و عند بعض الباحثين، فهو بديل عن العلوم التطبيقية.

*عيوب المنهج المقارن :

- يعتبر تحديد المفاهيم و ضبطها إجرائيا من خلال هذا المنهج أمرا صعبا للغاية.
- من الصعب أن يحدد الفرد الوحدة المُستخدمة لإجراء المقارنة.
- ستجد صعوبة في تحديد كافة الصفات الخاصة بالظاهرة المدروسة.
- في بعض الحالات يكون المنهج المقارن سطحي للغاية، ويهتم بالأشياء الظاهرة و بالقشور الخاصة بالظاهرة وحسب.
- لا يمكنك التوصل إلي النتائج إذا كان الاختلاف في الظواهر كبير.
- الصعوبة في إجراء المقارنات في الأبحاث الاجتماعية نظرا لتعقدها و تشابكها.
- من الصعب في كثير من الأحيان تحديد السبب من النتيجة أو العلة من المعلول خصوصا إذا كان التلازم بينهما هو تلازم قائم على الصدفة وليس تلازما سببيا.
- لا ترتبط النتائج غالبا وفي كثير من العلوم بعامل واحد بل تكون حصيلة مجموعة من العوامل المتداخلة والمتفاعلة مع بعضها البعض.
- قد تحدث ظاهرة ما نتيجة لسبب ما في ظرف معين وقد تحدث هذه الظاهرة نتيجة لسبب آخر يختلف عن السبب الأول في ظرف آخر.

- غياب أو ضعف التفسير السياقي . فمن الصعب مثلا فصل دراسة الظاهرة النفسية بمعزل عن محيطها الاجتماعي الذي نشأت فيه ، فهي ليست مجردة من الارتباطات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية والثقافية، و هذا ما يغفل عنه بعض المستخدمين لهذا المنهج.
- صعوبة تعميم النتائج للظواهر العامة.